

عبر عملية فنقل لمن يعتبر!!!



بقلم: د. احمد حسن دحلي

لا يمكن فهم دلالات وعبر عملية فنقل البطولية المتعددة الابعاد، من دون ادراجها في سياقها التاريخي والسياسي والعسكري والنفسي. ولرصد أبعاد هذه المعركة تجدر الاشارة الى:

- 1 - قرار الانسحاب الاستراتيجي في عام 1978 نتيجة لتغير ميزان القوة لصالح المستعمر الاثيوبي، بعد تدخل الاتحاد السوفيتي السابق والمانيا الشرقية السابقة واليمن الجنوبي السابق وليبيا ضد الثورة الارترية. وبفضل هذه الاستراتيجية الحكيمة، استطاعت الثورة الارترية الحفاظ على قواها البشرية ومعداتها العسكرية، بحكم ان " الثورة ليست عملية انتحارية " على حد تعبر الامين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير ارتريا حينذاك، المناضل اسياس افورقي.
- 2 - خاضت الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا على مدار عقد كامل من عام 1978 لغاية عام 1988 حرب الدفاع عن الوجود في سلسلة جبال الساحل، وفي نقفه قلعة الثورة وقاعدتها الخلفية، واعتمدت في سياق نفس الاستراتيجية حرب إستنزاف قوات العدو عبر تنظيم الكمائن المحكمة بغية عرقلة عملية تقدمه، وتوجيه ضربات في المواقع الحساسة في خلف خطوطه الخلفية بما فيها عملية الكوماندو في أسمرأ عام 1984 التي دمرت فيها 26 طائرة ميج 21 ، وميج 23، و5 طائرات مروحية عسكرية وطائرة أنتنوف وطائرة اليوشن، وتدمير كامل

وشامل لجبهة شمال شرق الساحل. وهكذا اعتمدت الجبهة الشعبية في تلك المرحلة التاريخية حوض معارك تكتيكية لعدم وجود امكانية مواجهة الجيش الاثيوبي المتفوق عليها عددا وعتادا بغية استنزافه تدريجيا، واستدراجه الى المواقع التي تسمح لقواتها للتصدي له ولتوجيه ضربات حاسمة اليه.



3 - بعد تثبيت الاقدام العسكرية في جبهة الساحل، واستنزاف قوات العدو، وإحباط الحملات العسكرية العشر، دخلت الجبهة الشعبية مرحلة الهجوم المضاد وتحرير المدن. وهكذا تم تدمير جبهة نادو - از في 19 مارس 1988 وتحرير مدينة أفعبت، والتي شكلت بعد ذلك صمام امان لمدينة نقفه التي استعصت على الجيش الاثيوبي استعادتها منذ تحريرها في عام 1977، وغدت بمثابة كابوس تؤرق احلام السلطة الاستعمارية الاثيوبية في ارتريا.

4 - سقوط جبهة نادو - از فتح عدة خيارات امام قيادة الجبهة الشعبية ، منها التحرك نحو مدينة كرن أو التوجه صوب مدينة مصوع، وكان الخيار الحكيم والمناصب المفاجئ للعدو الاثيوبي هو قرار تحرير مصوع، بينما العدو الاثيوبي كان يتوقع ان تكون المواجهة العسكرية القادمة في جبهة كرن حيث حشد قوات ضخمة في جبهة رورا منسع.

عملية تحرير مدينة مصوع الاستراتيجية في البحر الاحمر لم تهشم السلسلة الفقرية للقوات البحرية الاثيوبية وحسب، بل ان تلك الهزيمة العسكرية الماحقة والكاسحة التي منى بها على يد قوات الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في معركة مفصلية وحامية الوطيس والتي دامت ثلاثة ايام - من 9 الى 11 فبراير 1990 -

سطرت بأحرف من نار ونور في سجل تاريخ الشعب الارترري ومسيرة نضاله الاسطورية بكل واقعتها. ففي هذه المعركة التي خطت لها القيادة السياسية والعسكرية الارتررية بحكمة وحنكة استراتيجية وتكتيكية ابدعت القوات البرية والبحرية والميكانيكية في تنفيذها بصورة عملية وخالقة بتطويق مدينة مصوع، ومحاصرة القوات الاستعمارية الاثيوبية التي كانت ترابط في جزيرتي مصوع وطوالوت وشبه جزيرتي جرار وعداقا حيث يوجد المدخل الجنوبي لسقالة قطان، وتم قطع كل طرق الامداد وسبل الاسعاف والاغاثة والانقاذ من اسمرأ، حيث سيطر الثوار على الطريق الذي يربط العاصمة بالميناء. وعندئذ حاولت القوات الاثيوبية تركيز قواتها المحاصرة في جزيرة مصوع وطوالوت في المدخل الشمالي لسقالة قطان عبر دفاعات محكمة مدعومة بمختلف الاسلحة الثقيلة، ولكن هيهات، فإن الثوار وعبر عملية بطولية وتضحيات في سبيل تحرير المواطن والوطن، اقتلعوا الحصون الاثيوبية، بعد عدة محاولات بطولية، استشهد خلالها بعض المناضلين، ولكنهم وقبل استشهادهم مهدوا الارضية لرفاقهم الذين استطاعوا عبر ثلاث دبابات ليس على فتح ابواب تحرير جزيرتي طوالوت ومصوع للقوات البرية فقط، بل على شق الطريق نحو العاصمة اسمرأ.



5 - تحرير مدينة مصوع فتح ابواب العاصمة التي سقطت كثمرة يانعة في يد الثور في 24 مايو 1991 بعد معارك حاسمة في جبهتي قندع ودقمحري لم تدم اكثر من 15 شهرا. وهكذا تحررت ارترريا نهائيا من كابوس أثيوبيا الفيدرالي والاستعماري الذي دام زهاء أربعة عقود - 1952 - 1991 .

وعملية فنقل وتحرير مدينة مصوع، بكل أبعدها الوطنية والاقليمية والقارية والدولية، واصدائها الاعلامية والعسكرية والسياسية والاستراتيجية والحيوية

استراتيجية، ولا سيما بعد انهيار جدار برلين في عام 1989، وولوج الاتحاد السوفيتي السابق نفق التفسخ، قوضت اركان النظام الاستعماري الاثيوبي الذي انهار معنويا، واحبط نفسيا، وفقد بصيص الأمل في إنقاذ ما يمكن انقاذه في مصوع، فقرر اللجوء الى قرار كل المهزوين عسكريا وسياسيا ونفسيا ومعنويا ، أي إبادة الانسان وتدمير العمران في مصوع عبر سلاح طيرانه. وحرب غزة التدميرية والدموية والابادية التي تشنها حكومة بنيامين نتنياهو، أمام العالم بما فيه بما يعرف بمجلس الامن الذي ادمن سياسة الكيل بمكيالين منذ ميلاده بعد الحرب الكونية الثانية، باتت خير شاهد على هستيريا العقليّة الانتقامية للقيادات المهزومة سياسيا والتأهة عسكريا والمحطمة نفسيا، والتي تزج بجحافل قواتها ليس الى ساحة المواجهة العسكرية ضد المقاومة الوطنية، وإنما لتطبيق سياسة اقتلاع البشر والشجر والحجر امام شاشات التلفزة، وعدسات المصورين، وكاميرات الهواتف الجوالّة، ولكن وفي التحليل النهائي الحق يعلو ولا يعلى عليه، وشعلة ارتريا الثورة والدولة المتألّئة والمتألّفة لخير شاهد تاريخي وسياسي على ذلك.



هزائم عسكرية

بعض المسؤولين الاثيوبيين الذين يسعون بشتى السبل ولكن بلا طائل تزوير الحقائق التاريخية يزعمون ان اثيوبيا لم تهزم تاريخيا. ولا اريد في هذه السانحة الذهاب بعيدا، وسجل التاريخ حافل بكل شاردة وواردة عن حروب اثيوبيا العديدة والمتعددة الابعاد في هذه المنطقة، بقدر ما اود فقط تذكيرهم بهزائمهم في الساحة الارترية عسى ولعل :

1 - بعد الهزائم المتلاحقة التي حققتها الثورة الارترية بالقوات الاثيوبية، ولا سيما في عامي 1972 و1973، سقط نظام هيلي سلاسي الاقطاعي في اثيوبيا في عام 1974.

2 - بعد سقوط النظام الاقطاعي في اثيوبيا، تبوأ مقاليد السلطة حفنة عسكرية شوفينية تعرف بـ " الدرق " يقودها العقيد منجستو هيلي ماريا. حاول هذا النظام العسكري ان يفرض الحكم الذاتي على ارتريا عبر مفاوضات مكوكية في عواصم غربية وشرقية من دون جدوى. وعندما فشل في تحقيق غايته، شن عشر حملات عسكرية للقضاء على الثورة الارترية " مرة واحدة والى الابد " حسب أجنده السياسية والعسكرية التي كان يتشدد بها، والمدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي السابق وعدد من الدول التي تم ذكرها آنفا. ولكن تدفقت أمواج الثورة الارترية العاتية بما لا تطيق سفينة الدرق المترنحة والمتهالكة ، فهرب ربان السفينة قبل أن يبتلعها بحر الثورة الارترية في عام 1991.

3 - بعد هزيمة الدرق، اتى نظام الوياني الذي افتعل من العدم ازمة حدودية كغطاء ومبرر لشن الحرب على ارتريا في عام 1998 بتوجيه ودعم امريكي واسرائيلي خاصة ، وخاض ثلاثة حملات عسكرية على مدى عامين، قبل ان يجبر على توقيع اتفاق السلام في الجزائر عام 2000، بعد فشل أجنده العسكرية والسياسية الرامية لتغيير النظام الوطني الارتري، وذلك بفضل صمود وتحدي وتكاتف الشعب الارتري وحكومة وجبهة وقوات دفاعه الباسلة التي تتولى حماية السيادة الارترية البرية والبحرية والجوية وتقدم تضحيات بطولية في كل المراحل التاريخية التي تتعرض فيه ارتريا لمختلف انواع العدائيات.

رد على مغالطات تاريخية

في الأونة الاخيرة ردد بعض المسؤولين الاثيوبيين في معرض حديثهم عن عدم وجود منفذ بحري لبلدهم، بأنهم فقدوا المنافذ البحرية التي كانوا يتمتعون بهم نتيجة " خطأ تاريخي " وهذه مغالطة تاريخية، والدليل على ذلك:

1 - للذين لا يعرفون تاريخ ارتريا، لا مندوحة من تذكيرهم بأن ارتريا بحدودها الدولية الحالية تعتبر من اوائل الدول الافريقية التي عينت حدودها الدولية مع كل الدول الثلاث المجاورة لها براء، أي اثيوبيا وجيبوتي والسودان في نهاية القرن التاسع عشر وفي العقد الاول من القرن العشرين، وذلك قبل معظم الدول

الافريقية بما فيها اثيوبيا التي لم تكتمل عملية تعيين حدودها الدولية الا في منتصف القرن العشرين.

2 - اثيوبيا تعتبر تاريخيا دولة غير مطلة على البحر، وهي ليست الدولة الوحيدة في العالم، بل ان العديد من دول القارة الافريقية والعالم برمته لا تطل على البحر. وإن تلك الدول حلت تلك المشكلة مع الدول الساحلية المجاورة لها من خلال الاتفاق على:

2 - 1 - الاحترام المتبادل.

2 - 2 - التفاهم المشترك.

2 - 3 - المصالح المتبادلة.

2 - 4 - احترام الوحدة الترابية.

2 - 5 - عدم المساس بالسيادة الوطنية.

2 - 6 - عدم التدخل في شؤون الغير الداخلية.



وتأسيسا على هذه المبادئ الستة، لم تعد تلك الدول حبيسة عقدة عدم الاطلاع على البحر، ولم تكن تلك الوضعية الجيو - سياسية بالنسبة لها " مسألة وجودية " على الاطلاق.

3 - كانت اثيوبيا تستخدم مينائي مصوع وعصب عندما كانت ارتريا برمتها ترزح تحت نير الاحتلال الاثيوبي المدعوم على التوالي من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق واعوانهما. وبعد تحرير البلاد، فتحت ارتريا مينائي عصب ومصوع في وجه الحركة التجارية الاثيوبية معفية إياها من رسوم

استخدام المينائين. والحكومة الاثيوبية كانت تدفع فقط الخدمات التي تقدم لها وبالعملة المحلية. ولكن ما العمل، اذا تم مكافأة الاكرام الارترى بتمرد الوياني التي دأبت على عض اليد التي دربتها وسلحتها واطعمتها في اخرج الاوقات والمراحل التاريخية والسياسية والعسكرية، بل دعمتها بوحداتها الميكانيكية الحاسمة، الى ان استولت على السلطة في أديس أبابا في عام 1991.



4 - لو كان المسؤولون الاثيوبيون المعنيون يتمتعون بالامانة التاريخية والسياسية والاخلاقية لقالوا بعد هزيمة ايطاليا الفاشية في الحرب الكونية الثانية، ارتكب خطأ تاريخي بحق الشعب الارترى، عندما صادرت الولايات المتحدة الامريكية حقه في تقرير المصير. وكانت ارتريا ستصبح آنذاك دولة مستقلة على غرار المستعمرتين الايطاليتين الاخريتين، أي كل من ليبيا والصومال. ويذكر التاريخ بأن وزير خارجية امريكا وقتذاك ، جون فوستر دالاس، قال " بأن من الناحية القانونية الخالصة كان يقتضي أخذ رأي الشعب الارترى في الاعتبار، ولكن مصالح الولايات المتحدة واعتبارات السلام والامن الدوليين يفرضان على واشنطن ربط ارتريا فيدراليا بأثيوبيا التي هي صديقتنا".

5 - خاض الشعب الارترى نضالات سياسية وعسكرية طويلة ومريرة على مدى نصف قرن كامل في سبيل انتزاع حريته واستقلاله. وتعاقبت ثلاثة اجيال في حمل شعلة المقاومة العنيدة والجسارة التي لا تعرف الهوان والهوادة، وقدم الشعب الارترى ما يربوا على مائة الف شهيد من خيرة بناته وبنينه بغية احقاق حقه الشرعي والمشروع في الحياة الحرة والكرامة.

6 - القيادة السياسية الارترية كانت تستطيع في عام 1991 أن تعلن استقلال ارتريا فور تحرير كامل التراب الوطني الارتري وهزيمة الجيش الاستعماري الاثيوبي في ارتريا الذي أصبح بين اسير وقتيل وهارب، ولكنها ارادت ان تضي على تحرير ارتريا بقوة السلاح البعد القانوني، وأن تعالج الجريمة التاريخية والسياسية والقانونية التي ارتكبت بحق الشعب الارتري في تقرير المصير. فنظمت استفتاء حرا ونزيتها أشرفت عليه الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي وحركة عدم الانحياز والاتحاد الاوروربي. وهكذا مارس الشعب الارتري حقه في تقرير المصير، وقال كلمته التاريخية والسياسية والقانونية الفاصلة، أي نعم للاستقلال بنسبة 99،8 في المائة في 27 ابريل 1993.

هذه هي الحقائق التاريخية الارترية الدامغة تعري المغالطات الاثيوبية الواهية، وعلى المسؤولين الاثيوبيين ان يعتبروا من العبر التاريخية الارترية من باب الحرص على مصلحة الشعب الاثيوبي في المقام الاول، ولكي تتفادى منطقة القرن الافريقي العواقب الكارثية التي تحقق بها من جراء السياسات الطائشة والمتهورة القائمة على الطموحات التوسعية وعلى عقلية العظمة الجنونية على مدى التاريخ القديم والحديث والمعاصر، وادمان خوض الحروب وافتعال الازمات بالوكالة، والتي لا تقود الى حافة هاوية كما قد تبدو الامور لأول وهلة، بل الى قعر كارثة في هذا الجزء من قارتنا الذي لم يذق طعم الامن والسلام والاستقرار والازدهار منذ حوالي قرن وخمسة عقود، أي منذ مؤتمر برلين 1884 - 1885 الذي تقاسمت فيه الدول الاوروبية الاستعمارية دول القارة الافريقية التي لا تظل تبحث سبل تخلصها وخلصها من جميع اشكال القبود التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والنفسية في سبيل نهضتها المرغوبة والمرتقبة، لكي تتبوأ في خاتمة المسيرة الطويلة والمريرة، المرتبة اللائقة بها في كل المحافل الدولية.

فهل يتم تدارك الامور قبل وقوع الواقعة، سؤال مطروح بالحاح، ومفتوح في وجه كافة الاحتمالات الأكثر تفاؤلا والأشد تشاؤما.

9 فبراير 2024